حكايات عن النبي

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ – ٠١٢٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني yuness٢٠٠٥@hotmail.com

عبد الباسط البطل

سلسلة

قصص من القرآن وفرسان الإسلام

حكايات عن النبي

١٢٧ ش أثر النبي – مصر القديمة ـ القاهرة
ت: ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ ـ ٠١٢٢٩٠٦٩٣٤٨

عبد الباسط ، عبدالباسط علي أمين عبد الباسط

حكايات عن النبي : أ/ عبد الباسط علي أمين البطل - القاهرة

دار زهور المعرفة والبركة، ٢٠١٨

٩٦ ص   ١٧×٢٤سم

تدمك   ١ ١٠٠ ٥١٧٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١- السيرة النبوية

٢- العنوان

٢٣٩.٦

رقم الإيداع : ١٤٩١٦ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي ١ – ١٠٠ – ٥١٧٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

إهداء

إلى أولادي..

فاطمة ..علي ..صباح

حفظكم الله من كل سوء

ونفعكم الله، ونفع المسلمين بكل حرف أكتبه في سبيل الله.

عبدالباسط البطل

مقدمة

اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ النبي الأمي، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، وناصر الحق على الباطل، النور الذي اهتدى به الكون، الهادي إلى الصراط المستقيم، شفيعنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.لاشك أن الحكاية هي أفضل وسيلة لإيصال المعلومة لدى الكبار والصغار، وأن لها سحر عجيب في نفوس البشر.

ومن أشهر هذه الحكايات، سلسلة كتاب ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة.

وهناك الكثير من الكتب، التي تأثر بها القارئ، بل وغيرت الكثير من حياته.

فما بالكم لو كانت الحكايات عن أشرف خلق الله.. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.؟.

وبفضل الله وكرمه.. عثرت على عدد كبير من حكايات عنه صلى الله عليه وسلم، تعتبر حكايات منسية، لم تأت في الكثير من الكتب الحديثة، فأردت إحياء عدد منها، طالبا بها وجه المولى عز وجل، والتوفيق في الأمر..

وحتى تصل إلى شباب اليوم، استطعت بتوفيق الله أن أربط حكايات الرسول صلى الله عليه وسلم، بحكايات حديثة، من خلال عدد من الأطفال، تحدث لهم بعض المواقف السلبية والإيجابية، فيلجئون إلى جد لهم.

الجد رجل قارئ جيد، وعلى درجة عالية من الثقافة، يربط موقف اليوم، بحكاية قديمة، حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذا تصبح الحكاية أكثر تأثيرا في عقل ونفس الشباب.

عبدالباسط البطل

نحن وجدي



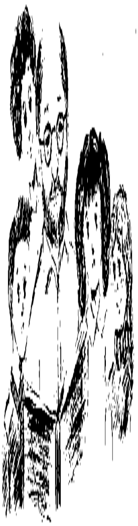
-١-

نحن وجدي

دائما ما يجلس جدي في حديقة المنزل بعد صلاة العصر، يقرأ القرآن ساعة، ثم يقرأ في كتب أخرى.

اعتدنا أنا وأختي فاطمة، وأولاد عمي خالد وزينب، أن نجلس معه ساعة كل يوم، وذلك بعد ما ننتهي من ألعابنا، يحكي لنا حكاية من حكاياته الجميلة، نفرح بها، ثم نذهب لصلاة المغرب في المسجد.

وذات مرة، بعد أن انتهي جدي من حكاياته، سأله خالد بن عمي:



من أين تأتي بهذه الحكايات الجميلة يا جدي..؟.

ابتسم جدي، ثم قال:

- أصدقائي يقولون لي كل هذه الحكايات.

انطلقنا في الضحك، لأننا نعرف أن جدي لا يفارق المنزل إلا إلى المسجد فقط، ولم نر له أصدقاء منذ بلغ سن المعاش.

لكن جدي قال في تحدٍ:

-لماذا تضحكون..؟. ألا تصدقون أن لي أصدقائي ويقولون لي كل شيء ؟.

قلنا له:

- أين أصدقائك يا جدي.؟. لم نرهم منذ عامين تقريبا.

قال جدي في حدة:

لا.. أصدقائي لا يفارقونني، فهم بجواري ليل نهار، أجلس معهم أكثر الوقت، يقولون لي كل شيء، ولم يكذبوا أبدا، ويحدثونني في أي وقت أريده ودون ملل.

نظرنا إلى أنفسنا، ونحن نتعجب.. جدي لم يكذب أبدا، ولا يحب الكذب.

ثم قلنا له:

أين هم يا جدي..؟.

في حجرة المكتب.

انطلقنا جميعا إلى حجرة المكتب، نريد أن نرى أصدقاء جدي، وفتشنا فيها جيدا، فلم نجد غير مكتبه في مكانه، والكرسي المبطن بالجلد الذي يجلس عليه، ومكتبته الكبيرة التي تضم كتبا كثيرة.

ثم رجعنا إلى جدي، وأبلغناه أننا لم نجد أحد، فابتسم وقال:

- أنتم ترونهم، ولكن لا تعرفونهم، وقريبا سوف يحدثونكم إذا أحببتموهم.

وانصرفنا إلى صلاة المغرب، وأنا وأختي وأولاد عمي مازلنا في لهفة، نريد أن نعرف من هم أصدقاء جدي.

وفي اليوم التالي، اختلفت أختي فاطمة مع زينب ابنة عمي، لأن زينب استعارت منها لعبتها، وأنكرت أنها استعارت منها شئ.

أسرعت فاطمة إلى جدي، واشتكت له من زينب، تلك هي عادتنا جميعا عندما نختلف مع بعضنا، أو يحدث لنا شئ، فجدي دائما عنده كل الحلول.

واجتمعنا أمام جدي، لنرى ماذا يقول..؟. وماذا يفعل مع زينب؟

ابتسم وقال:

- قص لي أصدقائي حكاية جميلة حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن الاستدانة.

فنظرنا إلى أنفسنا في صمت، نتعجب من أصدقاء جدي الذين لم نراهم أبدا، ويعرفون كل شئ.

قال جدي:

قبل أن أقص عليكم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- سوف أحكي لكم القصة أولا.

انتبهنا له، وهو يقول:

كان في بني إسرائيل تاجرا صالحا، أراد أن يوسع على نفسه في تجارته، ولكن لم يكن معه المال الذي يحقق به ما يريد.

فكر التاجر الصالح في الاستدانة، وسمع عن رجل طيب آخر، يعيش في مدينة بالجهة الأخرى للبحر، مشهور بالطيبة والصلاح، ويعطى لكل محتاج، بشرط أن يكون بينهما شهود، وأن يرد إليه المبلغ بعد المدة التي يتفقا عليها.

ركب التاجر الصالح السفينة، في طريقه إلى الرجل الطيب الثري، ليستدين منه مبلغا من النقود، ولم يكن معه شهود كما هو معروف، أو كفيلا يكفله عند الرجل الثري.

لكن ثقة التاجر الصالح في الله لا تنتهي، يشعر بأنه سوف يعود سالما غانما، وأن الله لن يخذله أبدا، طالما أنه أمينا صالحا، يعطي الحقوق لأصحابها، ولا يخون أمانة أو عهدا أبدا.

طرق الباب، فأسرع الرجل الثري واستقبله استقبالا حسنا، وأكرم ضيافته، ثم طلب التاجر الصالح منه ألف دينار، على أن يرده بعد حين.

لم يمانع الرجل، ولكن طلب منه شهودا على ذلك، فقال التاجر الصالح:



كفي بالله شهيدا.

سكت الرجل الثري لحظة، ثم قال:

إذن أحضر لي كفيلا، يكفل لي حاجتي عندك.

فقال الرجل الصالح:

كفي بالله كفيلا.

لم يتردد الرجل الثري، فهو الأخر رجلا صالحا، يؤمن بالله ويفعل الخيرات، فكيف لا يرضى بالله شاهدا وكفيلا..؟.

فقال الرجل الصالح:

- رضيت بالله شهيدا وكفيلا.

وأعطى الرجل الثرى ألف دينار للرجل الصالح، واتفقا على موعد للسداد، وعاد إلى بلده سعيدا، لأن الله لم يخذله.

وبدا الرجل الصالح في تجارته بجد واجتهاد، وباع واشترى بكل أمانة، وكسب رزقا حلالا ، ووسع الله له في التجارة كما أراد.

وعندما انقضت المدة المتفق عليها، جهز التاجر الصالح المبلغ، وأسرع به نحو الشاطئ، ليركب السفينة التي تنقله إلى صاحبه الثري، ليرد له المبلغ.

لكن.. هذا اليوم كان شتويا كثير المطر والرياح شديدة، مما لا يسمح لأي سفينة السير في الماء.

حزن التاجر حزنا شديدا، لأنه لن يستطع أن يؤدي الأمانة في وقتها، وسوف يكون مخلفا للوعد، وناقضا للعهد، إذا تأخر عن موعد السداد.

ولكنه لم يفقد الأمل، وجلس على الشاطئ، ينتظر سفينة تنقله إلى صاحبه.

ومر وقت طويل دون جدوى، وأخذ الرجل يفكر في وسيلة يحل بها هذه المشكلة، ثم لجأ إلى فكرة، تعود بها النقود إلى صاحبها، وكله ثقة في الله، بأنه لن يخزيه أبدا.

بحث عن قطعة من الخشب، ثم صنع فيها تجويفا، ووضع الألف دينار في التجويف، مع رسالة كتبها لصاحبه، يعتذر فيها عن عدم استطاعته للسفر، بسبب الأمطار الشديدة، التي منعت سير السفن في البحر.

وبعد أن أحكم التاجر الصالح إغلاق تجويف الخشبة، وضعها في الماء، مستعينا بعناية الله وحفظه، ومستودعا هذه الأمانة عند الله، حتى تصل إلى صاحبها، مبتهلا إلى الله سبحانه بالدعاء.

وهكذا استودع التاجر الأمين الأمانة عند الله الذي لا تضيع عنده الودائع، وعاد إلي بيته وقلبه مطمئنا، لا يكف عن الدعاء إلى الله بأن يحفظها لصاحبه.

واستجاب الله لدعاء التاجر الصالح، وسير الأمواج بالخشبة تجاه الشاطئ الآخر، فهو سبحانه بيده كل شئ، حتى وصلت إلى المدينة التي يعيش فيها الرجل الطيب، صاحب الأمانة.

في هذا الوقت، خرج الرجل الطيب نحو الشاطئ، ينتظر التاجر الصالح ومعه أمانته، أو يرسها مع أي سفينة قادمة، فهذا هو الموعد المحدد لمجيئه.

وعندما وصل الرجل الثري إلى الشاطئ، ونظر إلى البحر، فلم يجد فيه أي سفينة، لأن الموج كان عاليا، ولمح الخشبة التي بها الألف دينار ترسو على الشاطئ.

أعجبب الرجل بشكل الخشبة، ومد يده وأخذها إلى بيته، لعله يستدفئ بها في يوم تشتد فيه البرودة.

وعندما جلس في بيته، انتبه إلى الخشبة، ورأى ما تحمله في تجويفها، فأخذ الألف دينار كاملة، وقرأ الرسالة، ثم أدرك أن التاجر الصالح صادق النية، ولذلك حفظ الله أمانته، رغم صعوبة الأحوال الجوية، وتكفل بتوصيلها إلى صاحبها في الوقت المحدد.

لم يكتف التاجر الصالح بإرسال الخشبة وبها الألف دينار، لكنه انتظر حتى هدأت الأحوال الجوية، وعادت السفن تسير في البحر، ثم حمل ألف دينار أخرى، وركب أول سفينة، في طريقه إلى الرجل الطيب، ربما لم تصله الخشبة بالألف دينار.

وعندما رآه، قدم له الألف دينار التي معه، وطلب منه أن يسامحه، لأن سوء الأحوال الجوية حالت بينه وبين وصوله في الوقت المتفق عليه.

تعجب الرجل وسأله:

هل أرسلت لي شئ..؟.

تجاهل التاجر الصالح السؤال، وعاد يقدم له المبلغ، لكن الرجل كرر سؤاله، ثم قال له وهو يبتسم:

- إن الله قد أدي عنك ما أرسلته في الخشبة.

فابتسم له، وشكر الله لأنه لم يخذله، وأيقنوا أن الله شهيدا وكيلا عن الصالحين المخلصين.

انتهى جدي من هذه الحكاية الجميلة، ثم نظر إلى زينب، وقال لها:

- هل عرفت يا زينب ماذا يفعل الله مع الصادقين الموفين بعهدهم..؟.

وضعت زينب وجهها في الأرض، ثم قالت:

- نعم يا جدي، لقد عرفت، وسوف أحضر لها لعبتها الآن.

ثم استطرد جدي قائلا:

وإليكم نص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، انه ذكر رجلا من بني إسرائيل "سأل بعض من بني إسرائيل ان يسلفه ألف دينار، فقال ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفي بالله شهيدا، قال : فأتني بالكفيل، فقال: كفى بالله كفيلا، قال صدقت.

فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليها للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة، فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم رجع موضعها، ثم أتي بها إلى البحر.

فقال: " اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت من فلانا ألف دينار،فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضى بك، وسألني شهيدا فقلت، كفى بالله شهيدا، فرضى بك، وأني جاهدت نفسي أن أجد مركبا أبعث بها إليه الذي له عندي، فلم أقدر، وأني أستودعكها".

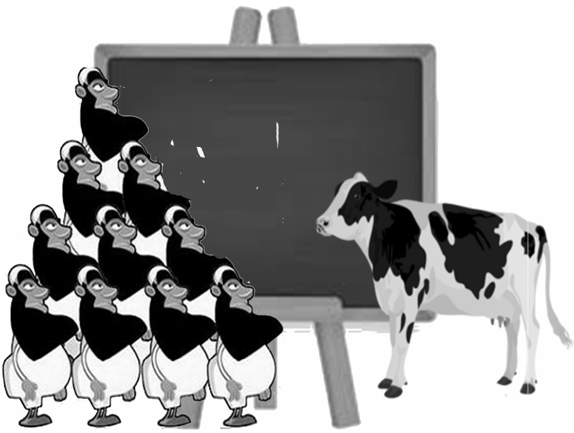
فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي بها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها، وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الذي كان قد أسلفه،فأتي بالألف دينار، فقال:والله مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، فقال: هل كنت بعثت إلى بشيء.؟. قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال:فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشدا". صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقنا جميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفنا من أمام جدي، ومازلنا نفكر أين أصدقاء جدي الذين يحكون له كل هذه الحكايات، ثم عزمنا أن نشدد المراقبة على جدي، لنعرف كيف يلتقي بهم..؟.

❖❖❖

البقرة تعطي درسا



- ٢ -

البقرة تعطي درسا

مازال جدي يحكي لنا حكاياته الجميلة كل يوم.

ومازلنا نبحث عن أصدقاءه الذين يحكون له هذه الحكايات.

وذات مرة، رأينا "خالد" ابن عمي يركب فوق ظهر كلب الجيران، مع صديقه "حسن" صاحب الكلب، والذي دائما ما يعلق حبلا طويلا برقبة الكلب، موصلا بلوح خشبي، ويركب "حسن" مع أصدقاءه على اللوح الخشبي، ويضرب الكلب بعصا ليسير بهم، كأنه حصان يشد عربة، وهذه هي لعبته طوال النهار في الشارع.



ذهبت أنا وأختي وزينب ابنة عمي إلى جدي، وأخبرناه بما رأينا.

لم يغضب جدي، وسألنا، موجها نظراته إلى "خالد"، وقال:

- هل ممكن أن يأكل أحدكم برجله.. ؟.

نظرنا إلى بعضنا، وقلنا في تعجب:

- لا يا جدي..

- هل ممكن أن يمشي أحد منكم على يديه..؟

- لا يا جدي..

- هل يسمع الإنسان بعينيه ويرى بأذنه..

- لا.. يرى الإنسان بعينيه ويسمع بأذنه.

تنفس جدي، ورجع بجسمه للخلف، وقال:

- إذن كل شئ خلقه الله له وظيفة يقوم بها، ولا يمكن أن يقوم مخلوق بعمل مخلوق آخر.

- هذا صحيح يا جدي

وهنا أمسك جدي بأذن "خالد" في تودد وقال:

- كذلك الكلب، خلقه الله ليقوم بحراسة الإنسان من اللصوص، ولم يخلق للركوب مثل الخيل والحمير والإبل والبغال.

وضع خالد عينيه في الأرض خجلا، لقد أدرك أن جده يعاتبه لما فعل بالكلب مع "حسن" جارنا.

- ولكن جدي أراد أن يخفف عنه، وقال:

- عندي حكاية جميلة جدا، عرفتها من صديق قديم لي.

فضحكنا وقلنا:

- بحثنا كثيرا عن أصدقاءك.. ولكن لم نراهم أبدا..

- لم تروهم إلا إذا أحببتموهم كما قلت لكم من قبل.

قال خالد:

- كيف نحبهم ولم نراهم، وهم لم يرونا..؟.

قال جدي:

- هم يروكم ويعرفونكم جيدا، وانتم لم ترونهم بعد.

نظرنا إلى بعضنا في تعجب، ثم قال خالد:

- هل هم عفاريت من العالم الآخر..؟.

ضحك جدي، وقال :

- لا يا خالد..هم مخلوقات من صنع البشر.

تعجبنا من لغز جدي، واخترنا كثيرا، ثم طلبنا منه أن يحكي الحكاية، فقال:

- قبل أن أحكي لي سؤال.

قلنا تفضل يا جدي.

- ما هي الحيوانات والطيور التي تحدثت في القرآن الكريم.

رفعت يدي، واستأذنت للإجابة، فأذن لي جدي، وقلت:

- النمل والهدهد

ابتسم جدي فرحا، وطلب مني أن أتلو عليه الآيات التي تثبت ذلك، فقلت:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

" ..... يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)"...سورة النمل

وعندما جاء الهدهد من رحلة سبأ، قال لسيدنا سليمان في القرآن الكريم:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

" إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)".....سورة النمل

هلل جدي وقال:



- بارك الله فيك يا "علي"، ولكن هل تعرفون أن البقرة تكلمت أيضا:

- فقلنا لا يجدي.. لم نعرف، قل لنا متى وكيف تحدثت..؟!.

- تنحنح جدي، ورجع بظهره للخلف ليسند جسده على ظهر مقعده الكبير وقال:

- " أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، بأن رجل كانت عنده بقرة مثل كل البقر، تحلب له لبنا، وتلد له صغارا، فيربي الصغار حتى يكبروا.

- لكن هذا الرجل كان يستخدم البقرة في شيىء آخر لم تخلق له، فكان يركب ظهرها، كأنها حمار أو حصان.

وذات مرة، خرج الرجل من منزله، ذاهبا إلى حقله كعادته، والبقرة تسير في جد ونشاط، فهى تعرف أن الحقل مليء بخيرات الله التي تملأ بها بطنها.

وحين أصبح على أول الطريق، قفز الرجل وركب على ظهر البقرة، فغضبت البقرة، وأبطأت في سيرها، فضربها الرجل، يحثها على الإسراع.

فإذا بالقرة تقف عن سيرها، وأدارت رأسها للرجل، ونظرت إليه بعينيها الواسعتين،وقالت: " ألم تعلم أيها الإنسان أنك تخالف سنة الله في خلقه بما تفعله معي..؟."

تعجب الرجل، كيف تتكلم البقرة..؟.

لكن البقرة أرادت أن تذكره لما خلقها الله له، ولما خلق بعض الحيوانات الأخرى، فقالت: " أيها الرجل.. خلق الله أنعاما كثيرة، منها ما تشربون لبنها، وتأكلون لحومها، وتحرث لكم الأرض التي تزرعونها، مثل البقر والجاموس والأغنام وغيرهم الكثير.

ومنها ما تركبونها، لتنقلكم من بلد إلى آخر، وتحملون على ظهورها متاعكم، توفر الجهد والوقت، وتسهل عليكم التنقل حسب ما تشاءون، مثل الحمير والبغال والخيول.

أما ما تفعله معي هو افتراء على نعمة الله، وخروج عن سنة الله في خلقه، لأنك تستعمل المخلوقات في أشياء لم تخلق لها."

زادت دهشة الرجل، ونزل من فوق ظهر البقرة، ولم يعد إلى ركوب ظهرها مرة أخرى.

سكت جدي، ونظر إلينا، ونحن مازلنا في دهشتنا من هذه الحكاية، لأننا لم نسمع عن بقرة تتحدث مع إنسان.

أراد جدي أن يأخذنا من تعجبنا، فقال:

والآن أقول لكم جزء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- الخاص بالبقرة التي تحدثت، لأنه حديث طويل.

قال صلى الله عليه وسلم:" بينا رجل يسوق بقرة، إذا ركبها فضربها،فقالت: إنا لم نُخلق لهذا، إنما خُلقنا للحرث"

فقالت الناس: سبحان الله، بقرة تتكلم!!

فقال صلى الله عليه وسلم :" أنا أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثَم"

فقلنا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقام ابن عمي"خالد" واقفا، وحنى رأسه إلى الأرض خجلا، وقال:

فهمت الدرس يا جدي، ولم أعد أركب ظهر الكلب مرة أخرى، حتى لا أخالف سنة الله في خلقه، لأنه خلق للحراسة من اللصوص، ولم يخلق لنركبه مثل الحمير والبغال والخيل.

فمد جدي يده، ومسح رأسه بكل حنان، فسألته:

كم صديق لك يا جدي.

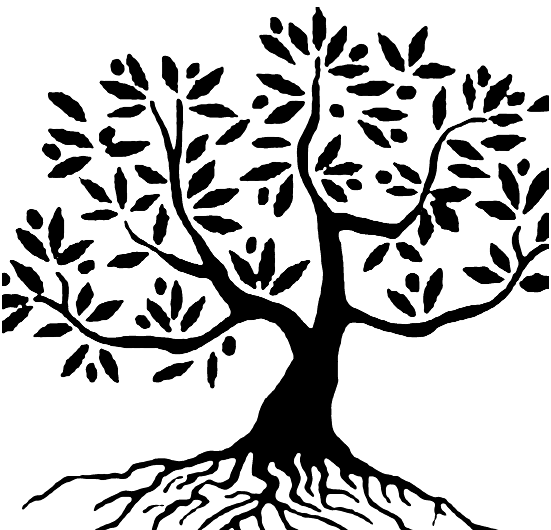
ضحك وقال:

كثير جدا يا علي، حتى أنني أعجز عن عدهم.

فضحكنا وذهبنا نستعد لصلاة المغرب.

❖❖❖

الكلمة الطيبة



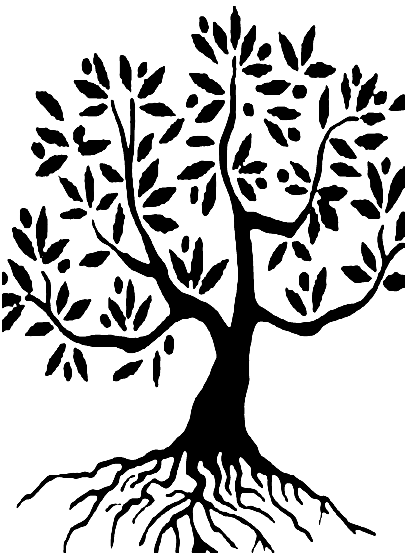
-٣-

الكلمة الطيبة

قبل صلاة العصر بقليل، توضأنا جميعا، وذهبنا خلف جدي إلى المسجد.

صلينا ركعتين تحية المسجد، ثم أربع ركعات سنة العصر بعد الأذان.

وعند إقامة الصلاة، وقفت بجوار "خالد" بن عمي، في المكان المخصص للأطفال، فإذا بـ " جابر" جارنا يدفعنى برفق، يريد أن يصلي بيني وبين ابن عمي.



أغاظتني فعلته هذه، فكيف له أن يدفعني ويفرق بيني وبين "خالد"، وهو لم يواظب على الصلاة مثلنا..؟. غير أن ناظر المدرسة عاقبه منذ يومين، لأن أحد الزملاء إتهمه بسرقة القلم.

دفعته بهدوء كما دفعني، وقلت له:

- إذهب وصلى في صفوف الأصغر منا، لأنك لم تواظب على الصلاة مثلنا.

نظر "جابر" إلى ولم يفعل شئ، وصلى في آخر الصف الذي نحن به، وشعرت بغصة في نفسي، لم أعرف لماذا.؟.

وعندما جلسنا أمام جدي، أخبره "خالد" بما حدث، فنظر جدي في وجهي، نظرة تظهر عدم رضاه بما فعلت، ثم قال:

يا "على"... ربما يكون عبد حديث التوبة، أفضل من عابد ألف سنة، المهم صدق النية، ولست هناك عبد ضامنا الجنة إلا برحمة الله، فلماذا تنصب نفسك حاكما على أفعال الغير..؟.

شعرت أن ما قمت به شئ ليس بالهين في حق إنسان، وهممت بمغادرة مكاني، فسألني جدي:

إلى أين..؟.

إلى "جابر" ..أعتذر.

ابتسم جدي، ومسح رأسي، وطلب مني أن أسرع وأحضره لمجلسنا.

انطلقت مسرعا،أبحث عن جابر، ثم رأيته يقف في آخر الشارع مع عدد من الأصحاب.

نادينه .. جابر .. جابر..لكنه لم يرد، رغم تكرار ندائي عليه، وادار وجهه عنى، فأدركت مازال غاضبا منى.

لم أغضب من عدم تلبية ندائي له، فأنا أعرف أنني مخطئ، ويجب أن أفعل شئ يرضيه.

اقتربت من وقفتهم، وألقيت عليهم السلام، ثم قلت:

أود أن أخبركم يا أصحاب أنني أخطأت في حقي "جابر"، والآن جئت اعتذر له أمامكم، وأتمنى أن يقبل اعتذاري.

تعجب الأصحاب، ثم نظر جابر لي مبتسما، وقال:

- قبلت اعتذارك يا "علي".

- ممكن تتفضل معي..

تردد "جابر"، وحاول أن يرفض، لكن أحد الأصحاب طلب منه أن يأتي معي.

عدت أطأبت ذراع "جابر"، تغمرني السعادة، لأنني أرضيت من جابر، غير أن جدي سوف يسعد بما فعلته.

استقبله جدي استقبالا طيبا، وقدم له الحلوى مثلنا، وجلس يداعبه بعض الوقت، ثم قال:

- سوف أحكي لكم حكاية أعرفها منذ زمن بعيد.

قال "خالد":

- من الذي أخبرك بها يا جدي..؟.

ابتسم جدي، فهو يعرف أن "خالد" يريدنا أن نضحك، ثم قال:

- أصحابي طبعا.

- ضحكنا جميعا، والتفت إلى جابر، وقلت له:

- جدي له أصحاب كثير جدا، ولكن لم نرهم.

- وعدنا إلى الضحك مرات أخرى، ثم قاطعنا جدي وقال:

- حكاية اليوم، عن رجل قوي، أعطاه الله قوة في الجسد، ولكن الله انتزع من قلبه الرحمة، لا يتسامح مع أحد، ولا يصادق أحد، فاقد الإحساس، وخالف كل الأديان السماوية،

وهكذا عاش الرجل يمارس الإجرام في قريته، يسلب مال هذا، ويقتل ذاك، ويضرب تلك.

لم يرغب في شئ مع أحد إلا وأخذه بالقوة، وإذا اعترض صاحب الشئ قتله ولا يبالي.

وأحيانا كان يقتل النسوة إذا اعترضن طريقه، والأطفال إذا غضب منهم.

كان هذا الرجل مصدرا للرعب، الكل يخاف منه، حتى شيوخ القبائل وكبار الناس، الكل يلبي له ما يطلب، حتى ولو كان طلبه كبيرا، لأن الرفض معناه الذبح دون رحمة أمام الناس.

ومن شدة حبه لسفك الدماء، كان يعتني بسيفه جيدا، فجعله سيفا بتارا سريع القتل، وصنع رمحا من الحديد الصلب، يخترق جسد ضحاياه دون رحمة، وسكينا حادة جاهزة لتمزيق الأجساد.

مرت سنوات، والرجل يمارس الإجرام دون رادع من أحد، ويشد بذلك كل شبر في قريته التي يعيش بها، حتى قتل تسع وتسعون نفسا، بين رجل وامراة وطفل، لم يفكر مرة في التوبة.

وذات ليلة، كان الرجل يجلس وحيدا، تحدث مع نفسه.." هل لمثلي توبة بعد قتل تسع وتسعون نفسا..؟. وماذا عن الجنة والنار..؟. لا شك أن النار جعلت لمن هو مثلي، ولا مكان لي في الجنة.

ومنذ هذه اللحظة، والرجل أصبح زاهدا في القتل، فلن تعد نفسه تتعطش للدماء، وترك سيفه جانبا، وتوقف عن أذى الناس، وبدأ يفكر في الرجوع إلى الله.

حتى مرّ به رجل ، وسأله: " هل لي من توبة..؟."

احتار الرجل، بماذا يرد عليه وهو قاتل شرس، لا يعبأ بدموع الأمهات والأطفال..؟.

أيقن الرجل انه هالك لا محالة، إذا أجابه بأي إجابة لم تعجبه، ولكنه فكر في حيلة يفلت بها من هذا المأزق، وقال له:

- الجواب الشافي لسؤالك عند عابد فوق سفح الجبل، فهو عابد مجتهد، يصلي لله عز وجل، ويعبده حق عبادته، ويملك الإجابة على سؤالك هذا.

انصرف القاتل بهدوء من أمام الرجل، فتنفس الرجل الصعداء، وتعجب لهذا الهدوء وتلم السكينة التي عليها القاتل، ثم انطلق يسابق الريح عائد إلى بيته، لم يصدق إنه نجا من الموت.

أما القاتل، اتجه ناحية العابد فوق سطح الجبل، يريد أن يعرف إجابة لسؤاله، لا يبالي بمن يقابله طوال الطريق، ولم ينظر لأحد، يسير بخطوات سريعة، كانه يريد اللحاق بشئ.

في الوقت الذي ترتجف قلوب من يقابلهم، خوفا من بطشه واعتراضه لهم، يتعجبون لأمره، فهذه أول مرة يرونه بهذه الخطوات السريعة، لم يطلب ما تقع عليه عيناه، غير إنه لا يحمل سيفا أو رمحا، واكتفى بسكين يعلقها في جنبه.

وبعد مسافة طويلة، قطعها القاتل بهمة ونشاط، أصبح أمام الصومعة، ورأى العابد يصلي لله، فدخل وجلس حتى ينتهي من صلاته.

رحب به العابد، ثم سأله عن حاجته:

فقال الفاتل بصوت خفيض:

- أنا مذنب.. فهل لي من توبة عند الله..؟.

- وما الذنب الذي اقترفته.؟.

- قاتل

امتعض العابد، وسرت قشعريرة في جسده، وقال :

- أقتلت نفسا بريئة بدون حق؟!

- ليست نفسا واحدة، ولكنها أنفس

- ماذا تقول..؟.

- نعم.. قتلت تسع وتسعين نفسا

ثار العابد في غضب، وقال له:

- كيف تطلب التوبة بعد قتل تسع وتسعين نفسا، ونفس واحدة كفيلة بغضب الرب؛لأنها كبيرة من الكبائر.؟.

تغير وجه القاتل، وغلى الدم في عروقه، وسأله بنبرة حادة قائلا:

- أجبني بوضوح.. هل لي توبة عند الله..أم لا..؟.

فقال الراهب في صوت عال:

- لا..

اشتد غضب القاتل، وانقض على الراهب بسكينه، ولم يتركه إلا مقتولا، وبذلك أكمل المائة نفس.

غادر القاتل الصومعة، كأنه لم يفعل شئ، اشتعلت فيه النزعة الإجرامية من جديد، يريد أن يرى من يعطيه الأمل، ويقول له " لك عند الله .توبة.

وبينما هو في طريقه، إلتقى برجل، سأله :" هل لي من توبة..؟. فأرشده الرجل إلى عالم يقال عنه أنه أعلم أهل الأرض، فأسرع إليه، عسى أن يجد عنده أول طريق للتوبة.

أحسن العالم استقباله، وأجلسه بجواره، فشعر الرجل القاتل بود وسكينة لم يشعر بهما من قبل، ثم سأله العالم:

- ما حاجتك.؟.

فقال الرجل القاتل في نبرات انكسار:

- أيها العالم، لقد قتلت مائة نفس، ولم أرحم صغيرا أو كبيرا، ولم أجزع من الدماء التي انغمس بها سيفي، أو أهتز لصرخات الأطفال وعويل النساء، فهل لي من توبة عند الله...؟.

- نعم لك توبة، لأنه لا يستطيع أحد ان يقف حائلا بين العبد والتوبة إلى الله، والله تواب رحيم، يقبل التوب عن عباده،

انبسطت أسارير الرجل، يكاد قلبه يطير فرحا، ذهب الجمود والقسوة من قلبه، وسكنته رحمة وطيبة وسكينة.

ثم سأل عن طريق التوبة، فنصحه العالم أن يغادر قريته، لأنها قرية سوء، لا يعبدون فيها الله، ويذهب إلى قرية "كذا"، أهلها أهل صلاح، يعملون الطيبات، ويعبدون الله تعالى، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

شكر الرجل العالم الجليل، وأسرع الخطى نحو القرية التي ذكرها له العالم، يسير بقلب ملهوف لأهل هذه القرية، يريد ان يخالطهم ويعيش معهم، ليتعلم منهم الصلاة والزكاة وفعل الخيرات.

وبينما هو يجد في السير، شعر بالتعب، فجلس يستريح، وإذا بالمنية تأتيه، وتصعد روحه إلى بارئها.

وهنا نزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، كل فريق يريد أن يأخذه.

تنازع الفريقان، كل منهما يظن أنه أولى به، فتعللت ملائكة الرحمة قائلة :

" لقد جاء تائبا إلى الله تعالى"، صادق النية، ومن تاب توبة نصوحا، أبدل الله سيئاته حسنات من فضله سبحانه".

أما ملائكة العذاب كان لها قولا آخر، فقالت:

" إنه إنسان قاتل، ولم يعمل خيرا قط، فكم أسال دماءا، وأزهق أرواحا بغير حق."

وهكذا تنازع ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ثم أرسل الله إلى الفريقين ملكا على هيئة إنسان، فجعلوه حكما بينهم، وقصوا عليه أمر هذا الميت، فأمرهم أن يقيسوا المسافة بينه وبين القرية الظالمة التي جاء منها، والمسافة بينه وبين القرية الصالحة التي كان ينوى الذهاب إليها، فإذا كان أقرب للقرية الصالحة، فملائكة الرحمة أولى به، وإن كان أقرب للقرية الظالمة، فملائكة العذاب أولى به.

كان حلا مقنعا للطرفين، وقامت الملائكة بقياس المسافة بينه وبين القريتين.

وكانت رحمة الله عز وجل، وأوحى إلى الأرض التي بينه وبين القرية الصالحة أن تطوى مسافاتها، حتى يكون أقرب للرحمة من العذاب.

وقامت الملائكة بقياس المسافات، فكان من نصيب ملائكة الرحمة، بفضل الله عز وجل، وهذا لأنه كان صادقا في توبته إلى الله عز وجل.

وانتهى جدي من حكايته، ورجع بظهره إلى الخلف، وهو ينظر لي، أدركت انه يقول لي لا تكن مثل العابد الأول الذي قال للقاتل لا توبة لك، لأن قبول التوبة ليست بيد احد من الناس.

وضعت وجهى في الأرض خجلا، ولكن جدي أراد ان يخرجني من هذا الخجل، فقال:

الآن أقول لكم نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة

فقال : لا... فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ..؟. فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ... فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة"

❖❖❖

ثلاث صدقات



-٤-

ثلاث صدقات

حول منزلنا حديقة صغيرة.



دائما ما يعتني بها جدي، وبأشجارها المتنوعة.

علمنا كيف نساعده..؟.نسقيها بالماء، وننسق فروعها.

زرع جدي من كل نوع شجرة واحدة، كل شجرة تأتي في موسمها بثمار كثيرة، يقول جدي وقت الحصاد " إن الله يبارك لنا فيما نزرع، فالشجرة الواحدة تأتي بمقدار عشرة من الأشجار".

كل يوم، ننظر في الأشجار، ننتظر اللحظة التي يقول فيها جدي "هيا يا أولاد.. حان موعد حصاد الثمار".

لحظات رائعة، نهرول فرحا، كل منا يعرف ماذا يفعل..؟.

أنا "وخالد" ابن عمي نحضر السلم الخشبي، وفاطمة وزينب تحضرا الأكياس، وقطعة قماش كبيرة خاصة بهذا اليوم.

نفرش قطعة القماش تحت الشجرة التي سوف نحصد ثمارها، واصعد أنا وخالد السلم، نجمع الثمار، ونلقيه إلى فاطمة وزينب، وجدي بجوار قطعة القماش، يأخذ منهما الثمار، ويقسمها ثلاثة أقسام بالتساوي.

وبعد أن ننتهي، يخرج جدي ورقة من جيبه، فيها أسماء الأقارب والجيران والفقراء، ويأمرنا بوضع حبات من الثمار في الأكياس، ثم ننطلق بعد صلاة المغرب، ندور على الجيران والأقارب والفقراء بالأكياس، نعطيهم مما رزقنا الله من ثمار كما أمر جدي، ولذلك كان وقت الحصاد هو أسعد الأوقات التي كنا نحبها.

وفي موسم المشمش، عادت فاطمة بثلاثة أكياس، لم تعطيهم لأصحابهم كما أمرها جدي، وقالت عن الكيس الأول أنه خاص بأسرة احدى زميلاتها في المدرسة، وهي على خلاف معها منذ أمس، لأنها دفعتها في طابور المدرسة، أوقعتها على الأرض، ولا يجب أن تأكل هي وأسرتها من ثمارنا.".

أما الكيس الثاني فهو خاص برجل ثري، والثري لا يجوز عليه الصدقة، لأنه ليس محروم، فبوسعه أن يشتري كل شئ.

أما الكيس الثالث لرجل ثري أيضا، لكنه بخيل، لا ينفق على أولاده، ولا يعطي لفقير، أو يطعم مسكين، فيجب حرمانه من المشمش كما يحرم الناس.

ابتسم جدي، وربت على شعر فاطمة، ثم أمرها أن تذهب إلى منازل هؤلاء الثلاثة، وتعطيهم أكياس المشمش، وذهبنا نحن إلى صلاة العشاء التي حان وقتها.

في اليوم، ذهبنا لنجلس مع جدي، كان جدي في انتظارنا، يبدو أن أصدقائه قالوا له شئ بخصوص فاطمة.

رحب بنا، وقبلنا يده كعادتنا كل يوم، ثم جلسنا نستمع له، فبادرته فاطمة قائلة:

- زميلتي ابنة الجيران، اعتذرت لي اليوم في المدرسة، وشكرتني على كيس المشمش.

ابتسم جدي، وقال:

- هكذا هي الصدقة يا فاطمة، تطفئ غضب الرب كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فما بالكم من تأثيرها على البشر.

- نعم يا جدي.. أنا أخطأت حين عدت بالأكياس الثلاثة، لكن لا أعرف تأثير الصدقة على الأثرياء والبخلاء.

رجع جدي بظهره للخلف، وقال:

- " أمس قل لى أحد الأصدقاء حكاية جميلة عن الصدقة.

نظرنا إلى بعضنا كعادتنا حين يقول عن أصدقائه، ثم حاولنا أن نخفي ابتساماتنا، فقال جدي:

- ألم تصدقون أن أصدقائي يقولون لي كل شئ أريده.؟.

فقلت:

- ياجدي.. لقد يحثنا عن أصدقائك كثير جدا، وفي كل مكان، ولم نجدهم..

- قريبا سوف تعرفونهم، دعوني أخبركم الآن ماذا قال الأصدقاء لي أمس:

واصل جدي حديثه فقال:

" كان هناك رجل من الصالحين، دائم الصدقات على الفقراء والمساكين، يخرج في الليل، حتى لا يراه أحد من الناس، لأن صدقة السر لها مكانة عالية عند الله سبحانه.

وذات ليلة، خرج مستترا بظلام الليل، يريد عمل الخير لوجه الله، فوجد فقيرا تبدو عليه علامات البؤس، دليل حاجته إلى

الصدقة، فسارع الرجل الطيب، ودفع صدقته إليه، ثم استدار مبتعدا عن الفقير، حفاظا على مشاعره، وحتى لا يعرف من صاحب الصدقة.

وفي الصباح، سمع الرجل الصالح الناس وهي تقول، أن رجل ما تصدق ليلة البارحة على لص سارق، يسرق أشياء الناس، منبوذ بين أهله وعشيرته.

فظن الرجل الصالح أن صدقته راحت هباءا، ثم فكر لحظة، وسأل نفسه.. لماذا يسرق هذا الرجل..؟. إذن هو في حاجة إلى المال.

وحمد الرجل الصالح ربه على كل حال، لأن صدقته ذهبت إلى هذا السارق، عسى أن يكف عن السرقة.

وفي الليلة التالية، قرر الرجل الصالح أن يتحرى موضع صدقته، فخرج متخفيا كعادته، فوجد امرأة تقف على الطريق، ظن أنها في حاجة إلى الصدقة، فدفع إليها صرة بها أموال وانصرف عنها، دون أن يرى وجهها.

وفي الصباح، سمع الرجل الصالح الناس تقول : أن رجلا ما تصدق ليلة البارحة على امرأة تخالط الرجال، تفرط في جسدها، وتفتح بيتها لكل رجل، نظير مبلغ من المال.

لم يحزن الرجل الصالح لأن صدقته ذهبت لهذه المرأة، ولكنه حمد الله على ذلك، لعلها تتوب عما هي عليه، وتمتنع عن مخالطة الرجال.

أما الليلة الثالثة، كانت غريبة، فحين خرج الرجل الصالح من بيته، يريد عمل الخير كعادته، وقعت صدقته في يد رجل لم يعرفه.، وحين أصبح، تحدث الناس وقالوا أن هناك رجل ما تصدق ليلة البارحة على رجل ثري، شديد البخل، لا ينفق في سبيل الله أبدا، رغم أن الله منّ عليه بالخير الوفير.

فحمد الرجل الصالح ربه، لأن صدقته وقعت في يد رجل يخيل مثل هذا، لعله يتصدق هو الآخر على الفقراء والمساكين.

وحين نام الرجل الصالح، رأى في منامه رؤية تبشره بقبول صدقاته، وتخبره أن الصدقة على السارق لعله يستعف عن سرقة الناس، وصدقته على المرأة التي تخالط الرجال مقابل مبلغ من المال، لعلها تتوب وتغلق بابها عليها، أما صدقته على الرجل الثري البخيل، لعله يعتبر وينفق مما أعطاه الله.

فرج الرجل الصالح بهذه الرؤيا، وحمد الله لأن صدقاته لم تذهب هباءا."

تنهد جدي، وعرفنا أنه انتهي من حكايته، وقلنا جميعا حكاية رائعة يا جدي، ولكنه واصل حديثه قائلا: إليكم نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال) : قال رجل : لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق على سارق، فقال : اللهم لك الحمد !، لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال : اللهم لك الحمد على زانية !، لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق على غني، فقال : اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني !، فأُتي فقيل له : أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني، فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله.

فقلنا جميعا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقالت فاطمة: الآن يا جدي عرفت لماذا أمرتني أن أعود بالأكياس مرة أخرى إلي الناس، وأعدك أنني سوف أتصدق على المحتاج وغير المحتاج.

.

رجل متكبر



-٥-

رجل متكبر

في آخر الفصل، يجلس زميلنا سليمان.

دائما ما ينهره الأستاذ عبدالحليم، لأنه دائم الكسل، وأحيانا يأخذه النوم أثناء الحصة.

واليوم.. أمره الأستاذ عبدالحليم أن ينتقل من مقعده الأخير، إلى المقعد الأمامي، بجواري أنا وخالد ابن عمي، لعله ينتبه للدرس.



غضب خالد، ولملم قميصه، خشية أن يلمسها سليمان، ثم حاول دفعه عنه.

سألت خالد:

لماذا تفعل ذلك.. والمكان واسع..؟.

قال في ضجر:

- ألم ترى ملابسه المتسخة وحقيبته المتهالكة..!

قطع الأستاذ عبدالحليم حوارنا، ونهر خالد، ثم واصل شرح الدرس.

بعد صلاة العصر، جلسنا أمام جدي كعادتنا، وقصصت عليه ما حدث من خالد في الفصل.

سألني جدي، : هل سليمان يسكن بعيدا عن هنا..؟.

فقلت له: لا.. يسكن في الشارع الخلفي ..

أمرنا جدي أن نذهب ونأتي به.

انطلقت أنا وخالد إلى سليمان، كان يقف أمام منزله المتواضع، تبدو عليه علامات البؤس والشقاء.

حاول سليمان أن ينسحب من وقفته ويدخل بيته حتى لا نراه، ولكنه توقف حين سمع صوتي وأنا أناديه.

وعندما وقفنا أمامه، سألني وهو ينظر إلى خالد نظرات غضب:

-ماذا تريد يا علي..؟.

ابتسم خالد، وأجاب رغم أن سليمان يسألني أنا:

-نريد أن نكون أصدقاء يا سليمان، وتأتي معنا لنلعب سويا في حديقتنا،

-لكن...

فقاطعته وقلت:

-لا ترفض يا سليمان، فجدي أمرنا أن نأتي بك إليه

-وما شأن جدك في صداقتنا

-سوف تعرف كل شئ حين تأتي معنا

سليمان طفل يتيم الأب، يعيش مع والدته وإخوته، تعمل والدته من أجل إطعامهم، مطيعا إلى أبعد الحدود، لا يشترك في ألعابنا، يكتفي بالجلوس للمشاهدة فقط.

أتى معنا إلى جدي، الذي مسح على رأسه مبتسما، وأجلسه بالقرب منه، وأخبره جدي أنه صديق قديم لجده، ثم قص علينا حكايات عن بطولات جد سليمان، وماذا كان يفعل في جنود الإنجليز أيام الاحتلال.

انفرجت أسارير سليمان، وانتفخ صدره فخرا بجده الذي لم يراه، وبدأ يشعر أنه لا يقل عن أحد منا شئ، فهو حفيد بطل لا يعرفه أحد غير جدي.

هكذا استطاع جدي أن يخرج سليمان من حرجه، ولم نعرف هل ما قاله عن جد سليمان حقيقة أم لا..؟.

ثم بدأ جدي يحكي حكاية اليوم، فقال:

" ذات مرة، كنت أجلس مع أصدقائي، فقال لي أحدهم حكاية جميلة، أود أن أحكيها لكم.

فقال سليمان: وهل عندك حكايات يا جدي..؟.

قال جدي: نعم

ضحك خالد وقال: حكايات جدي لا تنتهي يا سليمان، وله أصدقاء لم نراهم.

لم يعلق سليمان على أصدقاء جدي، ورأينا رغبته في سماع حكاية، فقال جدي:

" حكاية اليوم، عن رجل أعطاه الله الكثير من نعيم الدنيا، فكان حسن الشكل والهيئة، جسمه متناسق التكوين، كما منحه الله الكثير من الأموال

كان يجب على هذا الرجل أن يشكر الله علي نعمه، ولكنه لم يشكر الله سبحانه، بل كان يتكبر على الناس، يختال في مشيته كأن الله لم يخلق غيره على الأرض، ينظر إلى الناس بطرف عينه في تعالى وغرور، يتحدث إليهم باحتقار، يتعالى بما حباه الله بنسب ومال، يلم ملابسه عنهم، خشية أن يلمسها احد.

متناسيا أن كل ما هو عليه من متاع فهو زائل، وأن المتاع الحقيقي هو متاع الآخرة.

يحب المتكبر أن تمجده الناس، وتسمعه كلمات الاستحسان والتوقير، وتنسب إليه كل فضل حتى ولو لم يفعله، وتوسع له في المجالس

لم يعرف هذا الرجل أن الكبر باب من أبواب الشر، يدفعه إلى طريق المعاصي، لأن المتكبر لا يقبل الحق أبدا، ولذلك كان المتكبرون أول من كذب الأنبياء والمرسلين، ودائما ما يكونون عائقا أمام الإصلاح والمصلحين.

وذكر لنا القرآن الكريم الكثير عن المتكبرين، والوعيد الذي توعد به الله عز وجل لهم، وأولهم إبليس لعنه الله، الذي عصى الله سبحانه، واستكبر عن السجود لسيدنا آدم

قال عزّ وجلّ :

{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } (البقرة : ٣٤) .

والمتكبر لا يقبل الحقيقة، دائما ما يحب الزيف، بعيد عن الهدى والرشاد، يعطي لنفسه مكانة غير مكانته الحقيقية، لم تطاوعه نفسه للطاعات وعمل الخيرات، وهذا لأن الله قد غضب عليه.

فقال ربّنا عز وجل في كتابه :

{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } (الأعراف : ١٤٦) .

مثل هذا الرجل، لا قدر له بين أهله وعشيرته، حتى لو أظهروا له الاحترام والتقدير، فهو ممقوت مكروه، تراه الناس تافها ضئيلا لا حجم له.

ولم يمقته الناس فقط، فالله أشد مقتا له وغضبا عليه، وتوعد الله سبحانه للمتكبرين مثله بأشد العقوبات في الدنيا والآخرة، وأبلغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه قائلا عن المتكبرين يوم القيامة:

(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجناً في جهنم ، فتعلوهم النار ، ويسقون من طينة الخبال - عصارة أهل النار -) رواه الترمذي

ومن الطبيعي أن يكون للمتكبر حاشية من المنافقين، يلتفون حوله، ينتظرون رضاه عنهم ولو بالقليل، ويتمنون أن يكون لهم مثل ما لهذا الرجل، فهؤلاء هم ضعاف النفوس والإيمان.

والرجل الذي أحدثكم عنه، أراد الله أن يجعل منه عبرة للمؤمنين، ويعاقبه عقابا شديدا أمام أعين الناس.

فذات مرة، كان يمشي متبخترا مزهوا كعادته، فإذا بالأرض تخسف من تحت قدميه وتبتلعه، ويختفي من أمام أعين الناس في لحظة،

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال : (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ، مرجّلٌ جمّته ، إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة) رواه البخاري .

هكذا انتهي جدي من حكاية اليوم، كان الخجل يظهر على وجه خالد، تمنى الهروب من مجلسنا، ولكنه أين يهرب..؟. لقد كنا نحاصره بنظراتنا.

لم يجد خالد إلا أن يلف ذراعه حول رقبة سليمان في أخوة صادقة، ويقول بصوت يخنقه البكاء:

" أسف يا سليمان، من الآن نحن أصدقاء".

إبتسم سليمان وقال :

- لا عليك يا خالد، نحن أصدقاء.

منذ ذلك اليوم، وسليمان صديقا لأفراد العائلة، يلعب معنا، ويذاكر معنا، ويجلس أمام جدي كما نجلس، له ما لكل فرد في الأسرة، وأصبح طالبا نشيطا متفوقا في دراسته، منتبها لدروسه، لا ينام في الفصل، ووالدته أصبحت صديقة لوالدتي وزوجة عمي، تتبادل معهم الزيارات.

❖❖❖

لحظة غضب



-٦-

لحظة غضب

بعد صلاة العصر، ذهبنا نلعب كرة القدم مع أصدقاءنا في النادي، ومعنا سليمان الذي أصبح لاعبا أساسيا في الفريق



كانت المباراة حامية، خصوصا بعد نزول سليمان، الذي أبرز مهارته المدفونة في اللعب، والتي لم يعرف أحد عنها شئ من قبل، راوغ أفراد الفريق الأخر أكثر من مرة، وانتزع أهات الجماهير بحركاته الرائعة، وأحرز هدفين متتالين.

كان ضمن الفريق الأخر لاعب أسمه "فريد"، دائما لا يقبل الهزيمة، من طبعه الخشونة في اللعب، ويتذمر من قرارات الحكم، حتى ولو كانت قرارات صائبة.

اغتاظ فريد من هزيمتهم اليوم، كانت هزيمة ثقيلة ، فدفعه غضبه إلى الاحتكاك بصديقنا سليمان، وضربه بيده ضربة قوية، بعد إطلاق الحكم صفارة النهاية.

استشاط خالد غضبا، وانقض على فريد، واشتبك معه، وراح يوسعه ضربا، كما ضرب أخ لفريد، وعدد من الفريق الأخر، جاءوا لفض الإشتباك.

لم نترك خالد وحده، فنحن لا نقل عنه غضبا من فريد، وذهبنا ننصره، وكذلك فعل الجماهير، وأصبح عراك شديد، رغم أن أفراد الفريق الأخر لم يرتكبوا أي خطأ. لقد كانوا يحاولون فك الاشتباك فقط، إلا أن خالد كان يضرب كل من يقابله.

يتميز خالد ببنيان جسدي متناسق، يتفوق بالقوة، ويمكن هزيمة أكثر من واحد إذا دخلوا معه في صراع، ولذلك.. يتجنب الكثير الاحتكاك به.

وبعد أن انفض الاشتباك، وهدأ الغضب عند خالد، بدأ عتاب أفراد الفريق الأخر بالعتاب على خالد، فهم لا ذنب لهم في شيء، غير أنهم أرادوا فض الاشتباك، فتأسف خالد، والتمس منهم الأعذار.

إلى هنا وانتهت أحداث اللعب، وأصبح أمامنا مشكلة كبيرة.

ماذا نقول لجدي حين يسألنا عن الخدوش التي في وجوهنا..؟.

فكرنا ألا نذهب اليوم عند جدي، حتى لا يلومنا، ولكن ماذا عن الغد..؟. الجروح مهما كانت بسيطة لا تذهب أثرها في يوم أو يومين.

ثم رأينا أنه لابد من المواجهة، إن الهروب من المشكلة ليس حلا، هكذا علمنا جدي.

لأن المواجهة أفضل في مثل هذه الأمور، رغم وابل اللوم والتوبيخ، الذي سوف نتلقاه من جدي، فهو يكره العنف، مهما كان الأمر.

وعندما جلسنا أمام جدي، نظر في وجوهنا دون أن يقول شئ، كان ينتظر أن نشرح له الأمر من غير أن يسأل، لكننا لم نقل، فتنهد كأنه يئس من صمتنا، ثم مسح رأس سليمان وقال:

- قل لي أنت يا سليمان.

نظر سليمان في الأرض خجلا، وتأتأ وفأفأ، فاستأذن خالد في الحديث، فأذن له جدي.

وقص خالد الأحداث على جدي.

ظهر على وجه جدي الرضا، واستحسن رد فعل خالد، وهذا ما أسعدنا جميعا.

ثم تغيرت ملامح وجهه، سأل:

- لكن... ما ذنب أخي فريد وباقي الفريق.؟.

لم يرد خالد بشئ.

وبدأ جدي يصب اللوم على خالد، ويؤنبه لأنه سريع الغضب، ولأن غضبه شمل أخا فريد وأفراد الفريق الآخر، وتسبب في اشتباك جماهير الفريقين مع بعضهم.

سكت جدي لحظة، ثم قال:

" لقد تذكرت الآن حكاية عن نبي كريم كان في بني إسرائيل، اتخذ قرارا سريعا في لحظة غضب، وقتل أمة من الأمم".

نظرنا إلى جدي في دهشة، وتساءلنا: هل ممكن لحظة غضب من إنسان تهلك أمة بأكملها..؟.

أجاب جدي: نعم، وهذا ما أخبرنا به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – في حكاية الحديث.

قلنا: احك يا جدي.. تشوقنا لسماع الحكاية.

فقال جدي:

" كان هناك نبي في الأمم السابقة، سار هذا النبي لأمر ما، ثم شعر بالتعب، فأراد أن يستريح.

اختار النبي شجرة كثيرة الظل، وضع متاعه، وجلس يستظل بظلها الوارف بعض الوقت، ثم يعاود المسير.

كان بجوار جذع الشجرة وادي للنمل.

وكما تعلمون أن النمل أمة من الأمم التي خلقها الله سبحانه، ولا يعرف من أسرارها إلا القليل من البشر، وتعلمون أيضا أن نملة واحدة رغم صغر حجمها وقلة شأنها، غيرت مسار جيش، وتحدثت مع أحد الأنبياء.

سكت جدي لحظة، نظر في وجوهنا، وسألنا:

- هل تعرفون كيف غيرت نملة مسار جيش من الجيوش..؟.

رفعت يدي ليأذن لي بالحديث، فأذن، وقلت:

- نعم يا جدي، آنا أعرف قصتها، إنها نملة سيدنا سليمان، والتي حذرت إخوانها، وطلبت منهم أن يدخلوا أماكنهم، خوفا من أن يحطمهم سيدنا سليمان وجنوده، وقال الله تعالى على لسانها:

وقالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده.

وغير سيدنا سليمان مسار الجيش، حتى لا يحطم النمل وبيوته.

قال جدي: نعم يا علي.. أنت تعرف القصة جيدا

ثم واصل جدي حكاية النبي الكريم قائلا:

عندما جلس النبي الكريم تحت الشجرة، أسرعت نملة تدافع عن نفسها وأصحابها وبيتها، تلك هي غريزة وضعها الله في كثير من المخلوقات.

قرصت النملة النبي قرصة مؤلمة، ففزع النبي، وقام غاضبا، وقتل هذه النملة.

لم يكتف النبي بقتلها، بل أمر بإحراق القرية كلها، وقتل أمة من النمل، كانت تسبح الله سبحانه صباحا ومساءا.

لكن الله سبحانه لم يترك هذا الأمر يمر بسلام، لقد عاتب النبي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغَتْهُ نملةٌ ، فأمر بجهازه فأُخرج من تحتها ، ثم أمر ببيتها فأُحرق بالنار ، فأوحى الله إليه : فهلا نملةٌ واحدة ؟) متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : (فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟) .

❖❖❖

من أنت ؟



-٧-

من أنت ؟

كانت المباراة حامية. الخصم عنيد جدا.

فريق منافس، فريقنا دائما، يضم عدد من اللاعبين المهرة.

أبرع الفريقان في تقديم كل ما عنده من مهارات رائعة، انتزعت آهات الجماهير.

استطاع حارس مرمى فريقنا الشجاع، أن ينقذ مرماه أكثر من مرة، من أهداف محققة، وكذلك حارس مرمى الخصم.

وفي هجمة خطيرة على مرمى فريقنا، استطاع الفريق الخصم أن يسجل هدف التفوق علينا، وليس هذا فحسب، وأصيب حارس مرمى الفريق إصابة منعته من إكمال المباراة، بعد أن استنفذنا مرات التغيير المسموح لنا بها، مما أوقعنا في ورطة.

اضطررنا إلى مواصلة المباراة بدون حارس المرمى، وتطوع سليمان أن يقف مكان الحارس.

وعادت المباراة ساخنة، هجمة هنا وهجمة هناك، حتى استطاع الفريق الآخر من تسجيل هدفه الثاني.

لا نستطيع أن نلوم سليمان، فهو لم يجيد حراسة المرمي.

اقتربت من زميلنا "عمرو"، الذي يلعب في خط الدفاع، ويجيد حراسة المرمى نوعا ما، طلبت منه أن يقف حارسا للمرمى بدلا من سليمان، ولكنه رفض بطريقة مستفزة، فكررت طلبي له بكل هدوء.



فقال عمرو:

- ولماذا لا تقف أنت..؟.

قلت له:

- أنت تجيد حراسة المرمي، غير أننا في حاجة إلى مجهود سليمان في خط الهجوم معي، فهو مراوغ رائع، وممكن أن نسجل أهدافا تعوضنا الخسارة.

لكن عمرو أصر على موقفه، ورفض أن يستبدل مكانه مع سليمان، ورد بكلمات مستفزة مرة أخرى وقال:

- إن لم يعجبك ما أقول انسحب من الفريق، وسوف آتي بأحسن منك.

كان لابد من رد قوى على عمرو.

- ومن أنت لكي تقول هذا الكلام.

- أبي مديرا للنادي.. فمن والدك..؟.

لقد استنفد صبري، وأثار غضبي، فقلت بلاد تردد:

- أبي ضابط في الجيش

قال مستهزئا:

- وماذا يعنى ضابط، أنا لي عم لواء في الجيش، وخالي عميد في الشرطة، وأمي طبيبة.

وهنا ثار غضبي أكثر، وقلت له عن عمي الطبيب، وخالي المهندس، وانقلب الحال من مباراة كرة القدم، إلى مباراة وتباهٍ بالمناصب بين عائلتي وعائلته، وعاب كل منا في الأخر، وسخر منه ومن عائلته.

وكاد أن ينقلب الحوار إلى اشتباك بالأيدي، ولكن الزملاء حالوا بيننا، وتم استكمال المباراة، وخسرنا بفارق هدف.

عدنا إلى المنزل، دخلنا الحديقة الواسعة، كان جدي يقرأ كتابا كعادته.

أغلق جدي الكتاب حين ألقينا السلام، ونظر إلينا من فوق نظارته الكبيرة، لمح حزن يرتسم على وجوهنا، أدرك أن هناك شئ أكبر من الهزيمة في مباراة كرة قدم، تفحص وجوهنا لحظة، ثم قال:

- يبدو أن النتيجة كانت ثقيلة

لم يسمع جدي إجابة من أحد، ثم كرر كلماته مرة أخرى، فقالت زينب:

- لا يا جدي..الفارق لم يكن كبيرا، ولكن ما حدث أكبر من الهزيمة.

تغيرت ملامح جدي، ونزع نظارته من وجهه، وارتسمت على تجاعيده علامات الدهشة، وقال:

- أخبروني ماذا حدث بسرعة.

لم يكن منى غير أن أخبره بالحوار الذي دار بيني وبين "عمرو"، وبررت موقفي، وقلت إنه هو الذي بدأ أولا بالتنافس والتباهي بوالديه وعمه وخاله، فاضطررت أن أتباهى بوالدي أنا الآخر.

ظهرت علامات الغضب على وجه جدي، ثم سألني:

- ماذا لو لم ترد يا على

تعجبت.. وسألته:

لماذا أسكت يا جدي وقد سخر من والدي..؟.

لقد جئت بردك عليه بعمل يوجب النار

نظرنا جميعا إلى جدي في دهشة، وسألته:

كيف يا جدي.. أنا لم أقل شئ يوجب النار والحمد لله.

لا قلت وأنت لا تدري يا على..

كيف.. أخبرني يا جدي

في حكاية اليوم عبرة وعظة كبيرة، اسمعوها يا أحبابي:

أصغينا إلى جدي وهو يقول:

- قال لي عنها أحد أصدقائي، أنه روى عن النبي صلي الله عليه وسلم- حكاية حدثت أيام سيدنا موسي عليه السلام، حين اختلف رجلين من بني إسرائيل، وتنافسا وتفاخرا بأنسابهما، يريد كل منهما أن يبين للآخر إنه أفضل منه نسبا.

افتخر الأول بسلالته، وألصق لنفسه الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة، التي توارثها عن أجداده، وتعالى بنسبه، وذكر تسعة من أسلافه، ثم تفوه بكلمات التعالي والازدراء، محتكرا الرجل الآخر،

كان الرجل الآخر حكيما راجح العقل، رد عليه بكلمات موجزة، تدل على إيمانه القوي، وقال: " أنا فلان بن فلان بن الإسلام".

اختصم الرجلان، وذهبا إلي سيدنا موسى ليفصل بينهما، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا موسي، وبين له مكانة الرجلين الحقيقية، فأبلغهما سيدنا موسى قائلا:" " أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار ، فأنت عاشرهم ، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما في الجنة " .

وكان ردا مذهلا بالنسبة للرجل الأول، لأنه كان يتباهى بأجداد لم يكونوا على صلاح أو دين، وليس عندهم قيم أخلاقية نبيلة، ولذلك رافق أجداده في النار.

أما الآخر اكتفى بنسبه لوالديه وإلى الإسلام، لأن والديه كانا مؤمنين بالله ورسله، فبشره الله بمرافقة والديه في الجنة.

سكت جدي لحظة، ثم قال:

أما عن نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : انتسب رجلان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أحدهما : " أنا فلان بن فلان ، فمن أنت لا أم لك ؟ " ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام ، فقال أحدهما : " أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعة - ، فمن أنت لا أم لك ؟ " ، قال : " أنا فلان بن فلان بن الإسلام " ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هذين المنتسبين : أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار ، فأنت عاشرهم ، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما في الجنة " رواه الإمام أحمد

وحذر الله سبحانه وتعالى المسلمين من التفاخر والتباهي بالأنساب، وعدم سخرية الإنسان من أخيه الإنسان، حتى لا تحدث الفرقة والبغضاء بين المسلمين، فقال تعالي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ*) (الحجرات:١١) كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعميق روابط الصلة والعلاقة بين المسلمين وبعضهم، فذكر لنا احاديث كثيرة، نبذ فيها التباهي بالأنساب، والتعصب للقبلية، ونبذ تحقير الآخر والسخرية منه، لأن هذه من خصال الجاهلية فقال:

(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب) رواه مسلم .

وقال أيضا:

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: (إنَّ أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد ، وإنَّما أنتم ولد آدم ، ليس لأحد على أحد فضل إلاَّ بالدين أو عمل صالح) رواه أحمد .

وسكت جدي، ونظر في وجهي لحظة، وقال بصوت عالي بعض الشئ:

- ليس المهم من أنت ومن أبوك عند الناس، المهم من أنتم عند الله

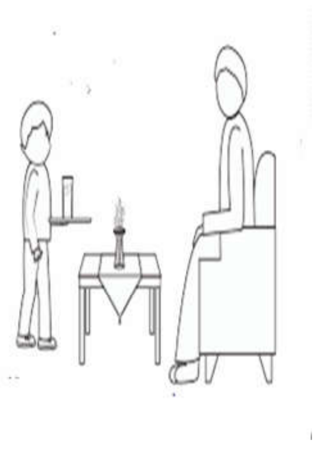
ثم سألني:

هل وعيت الدرس يا على..؟.

- نعم يا جدي.. لقد وعيت الدرس، ولم انساق إلى التباهي والتفاخر مرة أخرى، ولم أسخر من احد بعد ذلك، حتى لو سخر منى، لأنها من الأشياء التي حرمها الله سبحانه، وحذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❖❖❖

إكرام الضيف



إكرام الضيف

بعد أن صلينا العصر، جلسنا جميعا حول المائدة نتناول الغداء، ونسمع لجدي وهو يحكي عن الإنسان الكريم، وفضله عند الله.

وبينما نحن كذلك، فإذا بجرس الباب يأتي بدقات متتالية.

أسرعت أختي فاطمة إلى الباب، ثم عادت وأبلغتني أن صديقي عبدالرازق يريدني في أمر مهم للغاية.

قمت إلى الباب، تحدثت مع عبدالرازق كلمات قليلة، ثم عدت مسرعا، أريد أن أكمل غدائي، وأسمع حكاية جدي الجميلة.

لكن.. رأيت جدي ينظر لي في صمت.

ظننت أنه كان ينتظر عودتي.

ثم سألني أخي خالد:

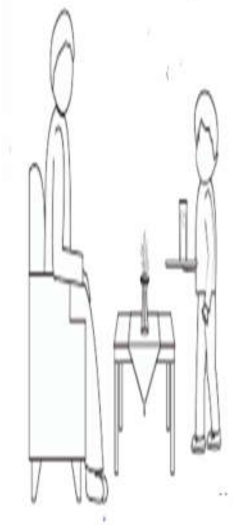
ماذا كان يريد صديقنا عبدالرازق..؟.

قلت له في شئ من الغضب:

لا أعرف، ولكني أجلت الحديث معه لوقت آخر.

أحسنت التصرف يا باسم، هو ضيف ثقيل

التفت جدي لي، وعلى وجهه علامات الاستفهام، ثم قال:



- لماذا لم تسمع له يا باسم..؟.. فربما يكون في حاجة إلى مساعدة.

- أعرف يا جدي أنه في حاجة إلى مساعدة، فهو لم يأت إلا لذلك.

هز جدي رأسه، ثم سألني:

- هل أنت مؤمن حقا..؟.

تعجبت لسؤال جدي المفاجئ، وقلت

- نعم يا جدي، ومنذ قليل كنت أصلي معك العصر.

ثم التفت إلي أخي خالد، وسأله نفس السؤال، فأجاب مثلما أجبت، لكن جدي ظهرت عليه علامات الغضب، وقام دون أن يكمل الغداء، وقال:

- راجعوا إيمانكم، واعملوا ما حفظتم من الأحاديث النبوية الشريفة

دخل جدي حجرته، وتركنا جميعا في حيرة، نتساءل:

ما هو الشئ الذي أغضب جدي..؟. ولماذا طلب منا أن نراجع إيماننا..؟.

نظرنا إلى أبي وأمي، ولم نجد عندهما إجابة للسؤال، وطلب والدانا أن نبحث عن سبب غضب جدي.

يبدو أننا أتينا بخطأ جسيم

ذهبت أنا و أخوتي نبحث بأنفسنا عن الإجابة، نستيعد الأحداث والكلمات التي دارت أثناء الغداء.

وفجأة هللت فاطمة:

- لقد عرفت السبب.

التفتنا إليها، وقلنا:

- ماذا يا فاطمة؟

- قال جدي قال اعملوا ما حفظتم من الأحاديث النبوية الشريفة، فيجب أن نبحث عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المناسب للأحداث.

نظرنا لأنفسنا لحظة، ثم قال أخي خالد:

- يبدو أن الحديث يتعلق بزيارة صديقنا عبدالرازق.

قالت فاطمة .. نعم نعم. لقد وصلنا يا أخوتي، وعرفت الحديث

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت..) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأنت لم تكرم ضيفك يا باسم، وكذلك أنت يا خالد، لم تقل خيرا.

- نعم.. ولذلك قال جدي.. اعملوا ما حفظتم من الأحاديث النبوية الشريفة.

فقلت في ندم:

- يجب أن نصحح من الخطأ فورا.

وخرجنا من المنزل مسرعين، نبحث عن صديقنا عبدالرازق، فوجدناه يقف بالقرب من المنزل، وفي عينيه حزن شديد.

تأسفت له لأننا لم ندعوه لدخول المنزل، ثم عرفنا منه أنه فقد كتابه العربي، ويريد أن يستعير كتابي ليذاكر فيه بعض الوقت.

كان علينا أن نفعل شئ نرضي به صديقنا، ونفرح به جدي.

فاصطحبنا عبدالرازق إلى المنزل، جلسنا معا بعض الوقت، وتوددنا إليه بحديث طيب، ثم ذهبنا إلى بائع الكتب، واشترينا كتاب العربي، وقدمناه هدية له.

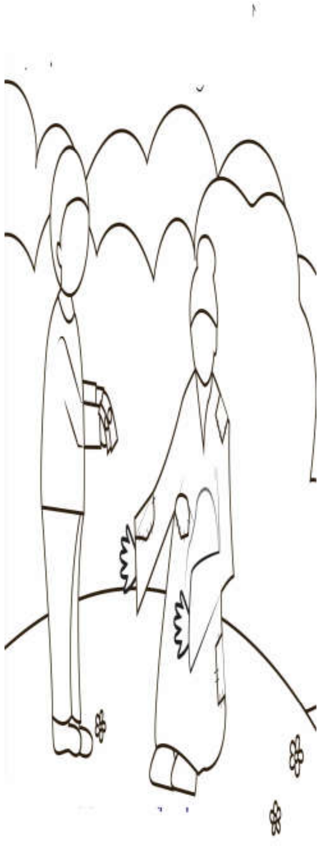
❖❖❖

الدين المعاملة



-٩-

الدين المعاملة



في آخر الشارع الذي نسكن به، قطعة أرض فضاء، اتخذناها ملعبا إذ لم نذهب إلى النادي، نلعب فيها كرة قدم، وغيرنا اتخذها ملعبا للسلة، أو لكرة الطائرة.

وكثيرا ما يأتي أبناء الأحياء الأخرى، للعب مع أي فريق من شارعنا،وقتها يشتعل التحدي، وتكون منافسة قوية بين الأحياء المجاورة، وخصوصا في شهر رمضان، حيث تقام الدورات الرمضانية.

ذات يوم، رأيت "عادل" وهو زميل لنا، يرتدي الزى الرياضي، قادما من بعيد، قاصدا منزلنا، فرحبت به ودعوته للدخول، لكنه اعتذر بكل أدب، وطلب مني أن يستعير الكرة الخاصة بي، لأن الكرة الخاصة بهم حدث بها عيب كبير، وإصلاحها يحتاج وقت، وهم يريدون اللعب الآن.

وافقت على الفور، فهو زميل مهذب جدا، وعلى خلق عالية، ويلعب معنا أحيانا إذا غاب أحد أفراد الفريق.

دخلت على الفور، وأحضرت له الكرة الجديدة، والتي اشتراها جدي لنا منذ أسبوعين، ووعدنى أن يعيد لي الكرة بعد الانتهاء من اللعب.

وانتهى النهار، وصلينا المغرب ثم العشاء، ولم يأت عادل بالكرة، مما أغضبني جدا، وجعلني أبيت ليلتي حزينا لأن عادل أخلف وعده معي.

وفي صباح اليوم التالي، اصطحبت خالد ذهبت إلي عادل في منزله.

كان لطيفا مهذبا كعادته، ودعانا للدخول، ولكني كنت غليظا جدا، لأنني مازلت غضبان منه، وقلت له:

- لماذا لم تحضر الكرة كما وعدتني

- مهلا يا على.. حدث شئ منعني من الحضور

- مهما كانت الأسباب.. لابد أن تحترم وعدك الذي وعدتني إياه.. فهل هذا جزاء المعروف..؟.

- انشغلت مع أمي.. لقد كانت مريضة.

- لا شأن لي بذلك

وهنا رأيت خالد يهمس لي، ويطلب مني أن أكون رقيقا في الحديث، وأن ألتمس له الأعذار.

وعندما رأى عادل عدم تقبلي لأي عذر، دخل المنزل على الفور، وأحضر الكرة، وشكرنا.

عندما أخذنا الكرة منه، وسرنا عنه، شعرت بتأنيب الضمير، لست وحدي الذي شعر بذلك، خالد أيضا شعر أنني كنت غليظ جدا مع عادل، فقال لي:

- لم أعهد عليك هذه الغلظة يا علي

- نعم يا خالد.. أشعر بتأنيب الضمير

- هل نسيت ما قاله جدي ذات مرة في هذا الشأن..!

التفت إلى خالد، وسألته:

- ماذا قال جدي:

- ذات مرة سمعته يقول.. [أعقل الناس أعذرهم للناس].

- نعم يا خالد، تذكرت الآن، ولذلك أبحث عن وسيلة أرضي بها عادل، ويتقبل بها أسفي له.

- يجب أن نستشير جدي، سوف نرى عنده الوسيلة الصحيحة.

- نعم.. سوف نستشيره يا خالد.

بعد صلاة العصر، ذهبنا إلى أرض الفضاء التي في آخر الشارع، والتي يتواجد فيها عادل أكثر الأيام، فلم نجده، وعرفنا من أحد أصدقاءه أن والدته مازالت مريضة.

عدنا إلى جدي، جلسنا أمامه كعادتنا، فأغلق كتابا كان يقرأ فيه، ثم نظر إلينا، كان تأنيب الضمير كان يظهر على ملامحنا، فقال وهو يبتسم:

- ماذا وراءكم أيها الأشقياء..؟.. أخبروني..

قال سليمان مسرعا:

- لم أكن معهم يا جدي

وقالت فاطمة وزينب كذلك، ثم أتبعهم خالد وقال:

- أنا لم أقل شئ يا جدي، على هو الذي تكلم

التفت جدي إليّ، وقال:

- الجميع تبرأ من الجريمة يا على، إذن أنت صاحبها، اعترف وقل الحقيقة.

قلت لجدي عن الواقعة، وعللت له عن سبب غضبي وغلظتي في الحديث، وأخبرته بتأنيب الضمير بعد ذلك، حتى أننا ذهبنا إلي الأرض الفضاء التي في آخر الشاعر، لكي أعتذر له، ولكن لم أجده، لن والدته مريضه، ثم سألته عن وسيلة أرضي بها زميلي.

ابتسم جدي وقال:

- شئ جميل أن تشعر بتأنيب الضمير حين تخطئ، ولكن ..هل يفيد شعورك هذا الشخص الذي أخطأت في حقه، وديننا ليس صلاة وصياما وزكاة فقط، ولكنه المعاملة الحسنة أيضا، والتماس الأعذار للناس طريق من طرق الجنة.

- كلنا نريد الجنة يا جدي، ولكن إشرح لنا كيف يكون إلتماس الأعذار طريقا للجنة.

- اسمعوا الحكاية التي حكاها رسول الله صلي الله عليه وسلم، والتي سمعتها من أصدقائي اكثر من مرة.

- نسمعك يا جدي بكل أذان صاغية.

- " الله سبحانه وتعالى هو الرازق لكل العباد، يرزق المسلم وغير المسلم، ويرزق كثير الصلاة والزكاة والصيام، ويرزق قليل الصلاة والزكاة والصيام، فرزق الله ليس شرطا لقوة الإيمان.

كان هناك رجل يعمل تاجرا، مَنّ الله عليه بالرزق الوفير، وأعطاه الله المال الكثير، وله مكانة كبيرة بين الناس، فالكثير منهم وأصحاب الحاجة يلجأون إليه، يقصدون بابه بيته، يطلبون منه اقتراضا أو منحة أو عطاء.

ورغم أن الرجل كان قليل الصلاة والصوم، إلا أنه كان كثير الشكر على نعم الله له، ولم يخذل أحدا، فكان يعطي كل من يسأله، ولم يعجل في طلب الدين إذا كان دينه عند موسر، أما إذا كان دينه عند معسر، تمهل عليه، وكثيرا ما يسقط عنه الدين لوجه الله.

وظل هذا التاجر طوال حياته على هذا المنوال، كثير التسامح مع الناس، كثير العطاء، وكثير الحمد والشكر، ولكنه قليل باقي العبادات.

وعند وفاة هذا الرجل، سألته الملائكة عن أفضل عمل عمله في الدنيا يلاقي به ربه، فبحث الرجل عن عباداته فرأها قليلة، ولا تستحق الذكر أمام الله سبحانه، مقابل نعم الله عليه في الدنيا، فسكت الرجل.

فكررت الملائكة السؤال عليه، وبحث الرجل في كتاب حياته عن عمل صالح، فلم يجد غير إنه كان يقرض الناس، ويلتمس الأعذار، ويعفي عن المعسر.

وذكر الرجل للملائكة ما كان يصنع مع الناس، وهو يظن أن هذا شئ قليل جدا لا يستحق الذكر، فهو كان مقصر جدا في حق الله، ولم يعرف أن الله أكرم الأكرمين، وأرحم بعباده، وكافأه بالرحمة والغفران والتجاوز عن تقصيره في عبادته، مقابل تجاوزه عن المعسر وقبوله الأعذار، ثم أدخله الجنة.

أما الحديث الذي أبلغنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحكاية فهو كالآتي:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ قِيلَ لَهُ انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ" وفي رواية لمسلم: "قال اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ)

رواه البخاري ومسلم .

ونتعلم من هذا الحديث، أننا لا نستصغر معروفا، فربما نراه صغيرا، وهو عند الله كبيرا، وأن التيسير على المعسر، والتراحم بين الناس، والسماحة في التعامل، وقبول الأعذار، من دواعي رحمة الله بالإنسان يوم القيامة، وهذا ما دعانا له رسول الله صلي الله عليه وسلم في اكثر من حديث، ومنها :

(رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى)

رواه البخاري

وقال أيضا:

(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) رواه مسلم

وقال أيضا:

(مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ ، أَوْ مَحَا عَنْهُ ، كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه أحمد

وختم جدي كلامه بصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم، فقلنا مثلما قال، ثم نظر إلى وجهي، وأمرني أن اصطحب خالد وسليمان، ونذهب لزيارة عادل، نواسيه في مرض والدته، ونعتذر له عما بدر مني صباح اليوم.

❖❖❖

الرحمة بالحيوان



-١١-

الرحمة بالحيوان



عند عودتنا من المدرسة، رأينا زميلتنا "هالة" ابنة الجيران تجري خلف قطتها، تريد الإمساك بها.

القطة جميلة الشكل، شعرها كثيف، لونها أبيض شفاف مع بني فاتح، وذيلها طويل.

رغم أن هالة تقوم برعايتها على أفضل وجه، وتطعمها أفضل الطعام، إلا أننا لم نعرف لماذا تهرب منها الآن..؟.، ولماذا تستغيث وترسل مواءا متكررا وهي تجري...؟. ولكننا ساعدنا هالة في الإمساك بالقطة، فأخذتها وهي غاضبة، وأسرعت بها إلى منزلها المجاور لنا.

وبعد قليل، سمعنا مواء القطة يأتي من الحديقة الخاصة بمنزل هالة، فأسرعنا إلى النافذة المطلة على حديقة هالة، نريد ان نستطلع الأمر، فرأينا هالة تربط القطة بحبل من رقبتها، في شجرة الجوافة، وتصرخ في وجهها غاضبة.

فنادت عليها فاطمة وقالت:

- مهلا يا هالة، ماذا فعلت القطة حتى تفعلي بها كل هذا.؟.

فقالت هالة والغيظ يملأها:

- لقد خطفت الطعام من المطبخ

- هل سبق لها وفعلت مثل هذا..؟.

- لا.. هذه أول مرة تفعلها، ولذلك يجب تأديبها لتتعلم..

فسالت هالة:

- ألم تسألي نفسك ياهالة لماذا خطفت قطتك الطعام هذه المرة..؟.

نظرت هالة إليّ في تعجب، ولم ترد بشئ، فقلت:

- الحيوان لا ياكل إلا إذا كان جائعا..

- وهل هذا مبرر لأن تخطف الطعام..؟.

- نعم يا هالة..ولو قدمت لها الطعام، ما فعلت فعلتها هذه..

سكتت هالة لحظة، كأنها تتذكر، هل كانت القطة جائعة وقتها ام لا..؟.

ثم قالت:

حقا يا على.. يبدو أنني لم أقدم لها وجبة الغداء.

وفكت الحبل من رقبتها، فأسرعت القطة هاربة من أمامها، ابتسمت هالة ولم تتعقبها، وتركتها على أمل العودة مرة أخرى.

وبعد صلاة العصر، ذهبنا إلى جدي كعادتنا، كانت فاطمة حزينة جدا، تشعر بالذنب، لأننا ساعدنا هالة في الإمساك بالقطة في أول الأمر، ولذلك ظنت أنها سببا في تعذيب القطة.

وقصصنا عليه الأحداث، فظل صامتا بعض الوقت، يبدو عليه الحزن لما فعلته هالة، ثم رجع جدي بجسده للخلف، وقال:

- أنا حزين جدا لما فعلته زميلتكم هالة، وتذكرت الآن حكاية جميلة، حكاها لي أحد الأصدقاء من زمان.

فقالت فاطمة:

- أتمنى رؤية أصدقاءك يا جدي، وألعب معهم.

التفت إليها خالد وقال:

- أصدقاء جدي لا يراهم أحد غيره، فهم من العالم الأخر.

ضحك جدي كثيرا، وقال:

- لا يا خالد، أنتم ترونهم كل يوم، ولكن لا تدركونهم، رغم أنكم تجلسون معهم أكثر الوقت.

التفتنا إلي بعضنا البعض، نتعجب لهؤلاء الأصدقاء الذين نجلس معهم أكثر الوقت ولا ندركهم، يبدو أن جدي يقول لغزا محيرا.

لم يتركنا جدي نفكر كثيرا، ثم قال:

- " انتبهوا للحكاية اليوم، لأنها تحتاج إلى التأمل والتركيز.

تركنا التفكير في أصدقاء جدي، ورحنا ننتبه للحكاية، فقال:"

- " اهتم الدين بحقوق الحيوانات والطيور وكل المخلوقات، ودعى إلى الرأفة بها والإحسان إليها، ، والعمل على تقديم كل المساعدات التي تكفل لها العيش بأمان تام.

والقصة تحكي عن امرأة كان لها قطة جميلة،

وذات يوم، فعلت القطة شئ ما يغضب المرأة، ربما سكبت لبنا، أو أكلت طعاما دون إذن المرأة.

كان يجب على المرأة أن تسامح القطة، لأنها حيوان ضعيف لا عقل له مثل الإنسان، ولم تحسن التصرف، لكن المرأة قامت بحبس القطة في الحجرة، عقابا لها.

وليس هذا فحسب، بل منعت عنها الشراب والطعام، وتركتها تتألم من الجوع والعطش، ولم يرق قلبها لحالها وهي تموء مواءا متكررا ضعيفا، تطلب الشراب والطعام.

وظلت القطة على حالها هذا بعض الأيام، لم تسمح لها المرأة لها بالخروج، حتى فارقت القطة الحياة جوعا وعطشا، ولم يتحرك في المرأة أي نوع من العطف والشفقة، كانت تنظر إليها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكأن شيئا لم يكن.

وهنا توقف جدي عن الحديث، كان ينظر إلى الدهشة والحزن في وجوهنا، فأتاح لي السؤال، وقلت:

- هل هناك قلوب من البشر بهذه القسوة يا جدي..؟.

- نعم يا "علي"، ولكن ليس كل البشر طبعا.

فقالت فاطمة:

- ماذا يفعل ربنا بزميلتنا هالة بعد إن عذبت قطتها..؟.

تنهد جدي، ثم قال:

- نسأل الله أن يسامحها ويغفر لها.

تدخل "سليمان"، مقاطعا حواري مع جدي قائلا:

- انتظر يا على، حتى نسمع باقي الحكاية .

ابتسم جدي، ثم واصل الحديث قائلا:

- " لكن الله سبحانه وتعالي لم يعفُ عن هذه المرأة، وكان لها بالمرصاد، وسلط عليها قطة، تنهش بمخالبها في جسدها حتى يوم القيامة .

ولقد بلغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الواقعة في حديثه قائلا:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) متفق عليه.

- وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى تلك المرأة في صلاة الكسوف حيث قال : (.. ودنت مني النار ، فإذا امرأة تخدشها هرّة ، قلت : ما شأن هذه ؟ ، قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا ، لا أطعمتها ، ولا أرسلتها تأكل) .

- وجاء في رواية النسائي : (حتى رأيت فيها امرأة من حمير تعذب في هرّة... فلقد رأيتها تنهشها إذا أقبلت وإذا ولت تنهش أليتها) .

قلنا جميعا : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقالت فاطمة:

- سوف أذهب إلى هالة، وأحكي لها هذه الحكاية، لتستغفر الله عما كان منها، ولتعتني بقطتها، حتى يغفر لها الله.

ابتسم جدي وقال :

- نعم يا فاطمة، يجب على الإنسان أن يبلغ أصحابه بأي معلومة يعرفها، حتى تعم المعرفة، وتعيش الناس على علم بالحلال والحرام.

❖❖❖

نهاية الغرور



-١٢-

نهاية الغرور

منذ أن اشترك خالد في لعبة الكاراتيه، وهو يتقدم في اللعبة بشكل رائع.

فهو يحبها جدا، ويواظب على التدريب كل يومين، ويسمع كلام المدرب، حتى اختاره المدرب ليلعب في الفريق الأساسي، ليمثل النادي في الدورات القادمة.



حصل خالد على المركز الأول، وسوف يلعب التصفيات القادمة باسم النادي.

ومنذ هذا اليوم، وخالد بدأ يعجب بنفسه، وبدأ أيضا في الغرور بما يملك من قوة ومهارة، حتى أنه أصبح يردد " من يستطيع مقاومتي والإفلات من ضرباتي".

حذرت خالد من الغرور، وكذلك حذره سليمان وفاطمة وزينب، لأن الغرور يأتي بالسقوط السريع لصاحبه.

لكن خالد دائما ما كان ينظر إلينا وهو يبتسم، ساخر من كلماتنا، ثم تمادى في الغرور والعجب بنفسه، وأصبح يتأخر عن مواعيد التدريب متعمدا، مما أغضب المدرب، وحذره أكثر من مرة.

وفي يوم المباراة الأولى في التصفيات، وقف خالد أمام الخصم، الذي كان أقل منه وزنا وقوة، مما جعل خالد ينظر إليه باستصغار، ظنا منه أنه سوف يتغلب عليه بكل سهولة.

وعندما أعطى الحكم إشارة بدء المباراة، رأينا الخصم يبادر بالهجوم، ففقد خالد التركيز، ودافع عن نفسه، لكن الخصم كان عنيدا، ظل يكيل له الضربات يمينا ويسارا وبقدميه، حتى انتهت المباراة بخسارة خالد.

غضب المدرب غضبا شديدا، ونهر خالد أمام الجماهير، فهو لم يتوقع هزيمته بهذه السهولة، وهدده بأن يبعده عن تمثيل النادي إن لم يحقق النصر في الجولة القادمة غدا.

عدنا إلى المنزل، ونحن في حالة حزن شديدة، فلا يستطيع أحد أن يتحدث في شئ، أو يقول لخالد أي كلمة.

وبعد صلاة العصر، ذهبنا إلى جدي وهو جالس في الحديقة كعادته.

سأل جدي أن يذكر كل واحد منا أسباب هزيمة خالد من وجهة نظره.

فاجتمعت الآراء على أن سبب الهزيمة ليست قوة الخصم، ولكن السبب هو غرور خالد وإعجابه بنفسه، واستهانته بالخصم في أول الأمر.

اعترف خالد بحقيقة ما قاله الجميع، فهز جدي رأسه وهو يبتسم، ثم قال:

- أصحابي لم يتركوا شيئا إلا وحدثوني عنه.

أراد جدي بهذه الكلمات أن يثير شيئا من الضحك.

فكان له ما أراد، ونظرنا إلى بعضنا البعض، وضحكنا خفيفا، فمازلنا نظن أن أصدقاء جدي لا يراهم احد غيره.

ثم واصل جدي حديثه قائلا:

- حكى لي أحد أصدقائي حكاية جميلة، عن نبي من أنبياء الله، نسى في لحظة فضل الله عليه، كما نسى أخوكم خالد، فكان عقاب الله له أشد مما تتصورون.

رفعت يدي أستأذن جدي للحديث، فأذن لي، وسألته:

- هل هناك عقاب للمغرور والمعجب بنفسه أكثر من الهزيمة في مباراة..؟.

قال جدي في صوت عالٍ بعض الشئ، ليشد انتباهنا مرة أخرى:

- نعم يا خالد، هناك أكثر من عقاب، منه الجوع والموت.

تشوقنا جميعا لنعرف الحكاية، يبدو أن فيها عظة وعبرة.

فقال جدي:

" حكي النبي صلي الله عليه وسلم، عن نبي من الأنبياء السابقين، بعث في أمة من الأمم، كانت ضعيفة فقيرة للغاية، فأراد الله لها كل الخير، فأكثر في رزقها وعددها، ومنحها من القوة ما أخاف منها كل الأمم، وسمع عنها القريب والبعيد، ترهب عدوها، ويتفاخر بها من يصادقها.

وذات مرة، نظر نبي هذه الأمة إلى قومه وجيشه القوي الكبير، فأخذه الغرور والعجب، وتحدث بينه وبين نفسه قائلا : " من يكافئ هؤلاء..؟. لم تخلق أمة تستطيع مواجهة جيشي القوي، أو الصمود أمامه.

في هذه اللحظة، نسى هذا النبي أن كل شئ بيد الله، ونسى واجب الحمد والشكر على نعم الله الكثيرة.

ولذلك أعطاه الله درسا لم ينساه طوال حياته، وجعله عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه بالغرور والعجب بنفسه أو بما يملك.

أوحى الله إلى هذا النبي أن يختار له جزاءا من ثلاث، عقابا له، إما أن يسلط الله عليهم أمة أخرى معادية لهم، تقاتلهم وتنتصر عليهم وتذلهم.

أو يسلط الله عليهم الجوع ليفتك بهم، فتضعف قوتهم تنكسر شوكتهم، ويصبحون أضعف الأمم.

أو يسلط عليهم الموت.

احتار النبي، لأن الاختيارات الثلاثة أصعب على كل إنسان، فكلهم بلاء ما بعده بلاء.

اجتمع النبي بقومه، وخيرهم بين هذه الأشياء الثلاثة، فرأوا أن القرار صعب جدا، واحتاروا بين هذه العقوبات، فتركوا له الأمر، فهو نبي اختاره الله لهم، وآمنوا به وأطاعوه.

وكعادة جميع الأنبياء والصالحين، قام النبي إلى الصلاة، فهي الزاد في النوائب لكل إنسان، عسى الله أن يهديه الطريق الصحيح

له ولأمته، فصلى ما شاء الله أن يصلى، ودعى الله سبحانه كثيرا، والتمس الهداية من الله.

وأخيرا تجلت أمامه نتائج كل خيار، ورأى آثار الذلة والمهانة إذا اختار تسليط الأعداء، وهذا ما لا يرضاه نبي لأمته أو لنفسه.

ثم رأى آثار الجوع، والذي خلف على القوم الضعف والوهن، مما جعل الأمم الأخرى تطمع فيه، وتصبح لقمة سهلة لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

لم يجد هذا النبي أهون من الموت، فهو أفضل من حياة الذلة والمسكنة، وأشرف من الجوع الذي يورث الضعف، غير أنه أمر حتمي على كل مخلوق، مهما طال العمر.

وافق القوم على اختيار الموت، مستسلمين لأمر الله، فلحقهم في كل مكان، حتى أنه كان يحصد في الليلة الواحدة ما يزيد عن سبعين ألف إنسان، مخلفا قرى خاوية، كانت بالأمس عامرة بأصحابها.

وهذه هي نهاية أمة أعجب بها نبيها، ولذلك كان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم – دائما ما يتبرأ من كل قوة وكل حول، سوى قوة الله وحوله، خوفا على أمته من الهلاك.

فكان صلى الله عليه وسلم- دائما ما يقول " اللهم بك أقاتل، وبك أصاول، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

أما نص الحديث الذي جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كالآتي:

عن صهيب رضي الله عنه قال :

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لا أَفْهَمُهُ وَلا يُخْبِرُنَا بِهِ، قَالَ) :أَفَطِنْتُمْ لِي؟ (قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ) :إِنِّي ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِه- وفي رواية) :أُعْجِبَ بِأُمَّتِه -(فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلاءِ؟ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْكَلامِ، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ اخْتَرْ لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ، فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، خِرْ لَنَا، فَقَامَ إِلَى الصَّلاةِ، وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا، فَزِعُوا إِلَى الصَّلاةِ، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ(، قَالَ) :ثُمَّ قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلا، أَوِ الْجُوعُ فَلا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ؛ فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ) " رواه أحمد

فقلنا جميعا، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونظر جدي إلى خالد، فوجده مازال في دهشته لهذه الحكاية، فقال جدي:

- هل أعجبتك الحكاية يا خالد..؟.

انتبه خالد وقال:

- نعم يا جدي، حكاية جميلة، تعلمت منها أن الإنسان لا يغفل عن فضل الحمد والشكر لله، على النعم التي منحها الله له، ولا يعجب بنفسه وبما أعطاه الله.

وقبل أن ننصرف إلى صلاة المغرب، رفع سليمان يده، يستأذن جدي ليتحدث، فأذن له جدي، وجاء بالمفاجأة التي عجزنا عنها طوال الشهور الماضية، وقال:

- أنا أعرف من هم أصدقاءك يا جدي.

نظرنا إليه جميعا في دهشة، وظهر الاهتمام على وجه جدي، وطلب منه أن يسرع بالحديث، فقال سليمان:

- أصدقاءك يا جدي هم الكتب التي تضمها مكتبتك الكبيرة.

هلل جدي فرحا، وأثني على ذكاء سليمان وسأله:

- هل تحب القراءة يا سليمان..؟.

- نعم يا جدي.. أحبها جدا..

- وماذا تريد أن تقرأ الآن..؟.

- أتمنى قراءة كتاب الحكايات التي حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- الآن لك ذلك يا سليمان.

وأعطي جدي لسليمان الكتاب، ومجموعة أخرى من الكتب الجميلة، وذهبنا إلى صلاة المغرب.

❖❖❖

الفهرس